الشوق في لحمه وعظمه ودمه، وفي أنباضه وأنفاسه، وفي كلّ ذرّة من الطين الذي جُبل منه. وإذ ذاك فمن حقّك وحقّي أن نتساءل: من أين للإنسان ذلك الشوق؟ من أين جاءته تلك الرغبة الملحّة في أن يصبح يوماً من الأيّام صورة كاملة ومثالاً كاملاً للقدرة التي بها كان ومنها انبثق؟ أهي رغبة المغلوب على أمره، أم هي رغبة الواثق من نفسه؟ ألعلّها شهوة طائشة وطيف طارىء؟ أم أنّها رغبة أصيلة في طبيعة الإنسان لا يستطيع التملّص منها إلّا بتحقيقها؟ أم تراها الحافز الخفي الذي أودعه الله ضمير الإنسان ليدفعه دائماً أبداً إلى التفتيش عن مصدره بغية الاتحاد به والاكتمال فيه؟

★ ★ ★

تعالى معي نطوِ العصور القهقرى إلى يوم كان فيه الإنسان الأوّل في الفردوس شبيه الطفل المولود جديداً ـ لا فكر، ولا رغبة، ولا إرادة. ثمّ كانت حواء. وحواء، كما تعلم، كانت لحماً من لحم آدم وعظماً من عظمه. وإذا بالإنسان الموحَّد، وقد ازدوج، يفكر، ويرغب، ويريد. أوَتدري بماذا فكّر أوّل ما فكّر؟ ـ لقد فكّر بالله. وماذا اشتهى أوّل ما اشتهى؟ ـ لقد اشتهى أن يعرف الله. وماذا أراد أوّل ما أراد؟ ـ لقد أراد أن يصير إلهاً مماثلاً لله.